محاسن الأخلاق ومساوئها

- محاسن الأخلاق تُعظّم الأعمال ولو كانت قليلة، وسوؤها يُفسد الأعمال ولو كانت عظيمة، فيُروى في الحديث: (إِنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ).
- يبلغ الجاهلُ بأخلاقه منزلةَ العالم، ويبلغ العالِم بسوء خلقه منزلة الجاهل، وأعظم البلاء اجتماع جهل وسوء خلق.
- سلطان الأخلاق أعظم من سلطان المال والجاه والملك، قال النبي ﷺ: (لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق).
- لا يكاد يجتمع فساد الأخلاق وصلاح الأعمال في أحد، فقد جعل النبي ﷺ عمل البر رديفاً لحسن الخلق فقال: (البر حسن الخلق).
- لا يكتمل الإيمان بالخالق بلا إحسان إلى المخلوق، قال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).
- ربا الأخلاق أن تُقدّم معروفًا وتريد معروفًا أكبر منه، وأكرم الخلق من بذل المعروف بلا عوض.
- العفو والصفح عن المخطئين من أسباب ستر العيوب وغفران الذنوب ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (النُّور: ٢٢).
- أكثر الناس عفوًا وصفحًا أشدهم تقوى لله، وأقلهم عفوًا أقساهم قلبًا وأضعفهم إيمانًا ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البَقَرَة: ٢٣٧).

obeikandl.com

- كلما كان المظلوم على الانتصار أقدر، والغيظ أشد، كانت عزّة العفو أعظم، ففي الحديث: (مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا).
- لا تحتقر مظلوماً فإن المظلوم كلما كان أضعف كانت إجابة الله له أقرب وانتقامه من ظالمه أقوى، والله ينتصر للضعفاء ما لا ينتقم للأقوياء .
- لا تمنع منزلة الرجل وعلمه وسيادته من مشاورة من تحته، فلا منزلة فوق منزلة النبي قال أبو هريرة: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ نَبِيِّ اللهِ».
- من إكرام النفس عدم الإنصات للأذى والرد عليه، كما أنه من إكرام القدم رفعها عن الأذى في طريقها ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢).
- الصدق منجاة، إن لم يُنجك وحدك، أنجى الأمة من بعدك، ففي الحديث: (لاَ يُنْجِيكُمْ إِلاَّ الصِّدْقُ).
- إذا رأيت سوءًا في أحد فارجع إلى نفسك فالتمس سيئة بحجمها فيك، وذلك يجعل النفس تتحوّل من نظرة الشماتة والازدراء للمقصّر إلى الرحمة والشفقة به.
- ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يُوسُف: ٥٥) سُجن يوسف فلما خرج سعى لإخراج بلده وسجانيه من أزمتهم، نفسٌ فوق الحقد والانتقام، وتصفية الحسابات.
- كلما ارتفع الإنسان قدرًا سما نقدًا، فنقد الجزئيات يشغل عن الكليات، كان النبي لا يعيب على الخادم شيئًا ولا يعيب الطعام إن اشتهاه أكله وإلا تركه.
- من تواضع رُفع، ومن تكبر وُضع... فتواضع قبل أن تُوْضَع.
- ما ازداد أحدٌ كبرًا إلا زاده الله ذلًّا في نفوس الناس وإن كان قوياً هابوه واحتقروه ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعرَاف: ١٣).
- لا يتواضع أحد إلى من دونه إلا تواضع له من فوقه بنفس مقدار تواضعه، وهكذا في الكبر إن زاد على من دونه زاد عليه ممن فوقه... قصاص وعدل مجرب.

- تواضعوا طوعًا... قبل أن توضعوا كرهًا.

- قال أبو عبيدة: اجتاز الإسكندر بمدينة قد ملكها سبعة أملاك بادوا كلهم ونسلهم، فسأل: هل بقي من نسلهم أحد؟ قالوا: رجل واحد يأوي إلى المقابر، فأحضره فقال: ما حملك على ملازمة القبور؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك عن عظام عبيدهم فوجدتها سواء!

- أكثر ما يُفسد بين الناس الأخذ بالظن، فإذا جاء ظن السوء ضد من تكرهه النفس جعلت الظنَ يقينًا ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحُجرَات: ١٢).

- أكثر ما يُفسد الناس ظنون السوء بلا بيّنة، فنهى الله عن سوء الظنّ كله لشدّة الإفساد ببعضه ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحُجرَات: ١٢).

- إذا كره الإنسانُ أحدًا صدّق فيه ظنون السوء، وإن أحبه شكّك في يقين السوء، الحب والبُغض يعمي العقل فتختل نتائجه.

- إذا جاء الظن موافقًا للهوى انقلب الظن إلى يقين ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ (النّجم: ٢٣).

- النفوس إذا جاءها من الأخبار ما تهوى لم تتحقق منها كما تتحقق من الأخبار التي لا تهواها..

- يلتمس الإنسان الأعذار لمن يُحب، ولا يجدها لمن يكره، ولو أنه أحب الحق لذاته لاستوى عنده ميزان أعذاره.

- لا يتكبر أحدٌ في الأرض إلا لجهله بكبرياء من في السماء. قال لله: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئا منهما ألقيته في جهنم).

- أشد الناس كبرًا أكثرهم عن محبة الله بعدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النِّسَاء: ٣٦).

- **لا يُقرّب الله إليه متكبرًا، وبمقدار الكبر يكون البُعد** ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٣).

- **من تكبر على الله أذلّه والذنوب ليست بحجمها فصغيرة مع كِبر أعظم من كبيرة مع غفلة** ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٣).

- **الكبر والظلم متلازمان، إذا وُجد أحدهما وُجد الآخر، فبقدر الكبر يكون الظلم، ففي الحديث: (إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ).**

- **الكبر والحسد، لا يخالطان شيئًا إلا فسد.**

- **إذا رأيت متكبرًا فاعلم أنه قليل الصلاة أو عديمها، لا يجتمع كبرٌ مع كثرة سجود** ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩) **صح عن مجاهد أنه قال: هو التواضع.**

- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ (غافر: ٦٠) **الآية. علامة الكبر قلة دعاء الله، فدعاء الخالق يكسر النفس فتتواضع للمخلوق.**

- **المتكبر أقل الناس بلوغًا لمراده؛ لأنه يعيش وهمًا والوهم لا يتحقق، قال تعالى:** ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦).

- **المتكبرون يُجادلون لأجل إثبات أنفسهم لا لإثبات الحق** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ (غافر: ٥٦).

- **إذا زاد الكبر في الإنسان قل تأمله وتدبره، فلا يجتمع كبر وذكاء:** ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ (المؤمنون: ٦٧، ٦٨).

- **الحق والكبر ضدّان، كلما زاد واحدٌ في القلب نقص الآخر** ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (الجاثية: ٨).

obeikandi.com

- الكبر حجاب على القلب، لن يفهم المتكبر الحق حتى يزيله عنه، وبحجم كبر النفس يقابله نقص استيعاب الحق ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥).

- الكبر يحجب عن العقل التدبر، فالحق ليس خادمًا وأنت سيده، الحق سيد فتواضع بين يديه ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ (المؤمنون: ٦٧، ٦٨).

- يُنصح المتكبر بالتواضع قبل عرض الحق عليه، لأنه لن يرى الحق بقلب محجوب بكبر، فالكبر عمى البصيرة كما أن الغشاوة عمى البصر.

- المتكبّر يُنكر الحق وهو يراه لأنه لا يُحب أن يسبقه إليه أحد ولا أن يُفرض عليه ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

- أكثر ضلال الإنسان أنه لم يعط عقله (التفكر) بآيات الله إما لكبر أو لمتعة الحياة،وإذا نزلت به مصيبة أزالت كبره وأفقدته المتعة تفكّر وأبصر الحق.

- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ (لقمان: ٧) كُفي حتى القراءة، يُراد منه أن يستمع ويتأمل فقط، ويأبى إلا أن يملك الحق وحده، أعظم أدواء العقول الكبر.

- المتكبر يُحرم الفهم، وإن فهم لم يتبع الحق عنادًا ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٦).

- المتكبرون أقل الناس فهمًا؛ لأن قلوبهم مليئة بالوهم، وإذا جاءهم الحق فاض، قال الله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٦) وأكثر الناس فهما المتواضعون.

- كل الآيات والبراهين لا تنفع المتكبرين ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٦).

- الكبر يمنع الإنسان من الاتعاظ بغيره؛ لأن صاحبه يرى أن أسبابه فوق أسباب غيره وأقوى، ولهذا لا يتعظ الظالمون إلا بأنفسهم.

سألت لاهوتيًا أمريكي الأصل أسلم، عن سبب عدم اتباع الغربيين للقرآن وهم يقرؤونه؟ قال: لا شيء إلا الكبر. قلت: صدق الله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ (غافر: ٥٦).

من تكبر على الله بشيء عاقبه به، تكبر فرعون بجريان الأنهار من تحته ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ (الزخرف: ٥١) فأجراها الله من فوقه ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨).

أكثر أهل الحق من الضعفاء، وأكثر المترفين من أهل الباطل؛ لأن الكبر يوجد مع الترف، والكبر يحجب عن الحق، فإذا لم يُجالسك الفقر فجالس الفقراء.

الاكتفاء بمخالطة الكبراء يُورث الكبر، ومخالطة الضعفاء تورث التواضع ففي الحديث: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي الضُّعَفَاءَ وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ).

أكثر الناس جدلاً أكثرهم كبرًا؛ لأن المجادل ينتصر لنفسه أكثر من الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ (غافر: ٥٦).

من أحب أن يخافه الناس لذاته فهو متكبر، أُتي النبي ﷺ برجل ترعد فرائصه فقال: (لَا بَأْسَ عَلَيْكَ! إِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ؛ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ).

كثيرًا ما يرفع الحاسد المحسود، يُريد وضعَه، ويأبى الله إلا رفعه.

الحاسد ينفع المحسود أكثر مما يضره يرفع ذكره بالشر فيبحث الناس عنه فلا يرون إلا خيرا أكثر العرب لم تعرف النبي ﷺ إلا من قريش فبحثوا عنه فاتبعوه.

في قلب الحاسد نارٌ لا يشعر بها إلا هو، يذم ويبْهت ويَصب الماء ليُطفئ ناره فيسقي شجرَ المحسود، يرفع الحاسدُ المحسودَ ليراه الناس وهو لا يشعر.

- من أعظم ما يُعين المؤمن على تحمّل كلام الحاسدين الاستعانة بالتسبيح والصلاة: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه: ١٣٠).

- أعظم الحسد أن تذكر مساوئ أحدٍ لتستر عيبك، وأطهر القلوب من يحزن لأخطاء الناس ولو كان يرتكبها.

- النفس التي تفرح بخطأ غيرها أكثر من حزنها وألمها عليه هي النفس الحاسدة... نفس الكريم تحزن على الخطأ وتنصح، ونفس اللئيم تفرح وتفضح.

- الغيبة كبيرة وإذا علم من اغتبته: فالتحلل منه وذكره بخير عند من اغتبته عنده كفارة لها، وإذا لم يعلم بالغيبة فالاستغفار وذكره بخيرٍ يكفرها.

- يذكر الأدباء أن فاكهة العامة غيبة الرؤساء لأن الرؤساء يعرفهم كل أحد، ويطلبهم حقًا، وهم لا يعرفونهم، وهم حديث الناس وإن كانوا لا يتعارفون... للناس الحديثُ عن الحقوق بالعدل وطلب الإنصاف لكن هذا لا يُسوغ القذف بالظن والوقيعة بالأعراض المستورة وبعض العقلاء يقعون في ذلك باسم طلب الحق.

- الكذب عظيم وكلما علا الإنسان ولاية في الناس فالكذب منه أعظم وأخطرهم كذبًا أعلاهم منزلة، ففي الحديث: (أَنَّ اللهَ لاَ يُكَلِّمُ المَلِكَ الكَذَّابَ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ).

- التساهل في وصف الأشخاص والحوادث كذبًا كبيرة ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ١٨). قال الحسن: «هي والله لكلِّ واصفٍ كذوبٍ إلى يوم القيامة الوَيْل».

- اتهام المؤمن ونيّته وعمله بالباطل بلا بيّنة كبيرة مهلكة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ (الأحزاب: ٥٨).

- اتهام أحدٍ بما لم يفعله وإشاعته ذنب عظيم يتساهل به الكثير ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ (الأحزاب: ٥٨).

- الكلام الحسن من أعظم ما يغرس الود ويُبطل كيد الشيطان وتحريشه بين الناس ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ (الإسراء: ٥٣).

- اللسان إنما هو مغراف والعقل قِدْره، ويأخذ اللسان من العقل أعلاه، والعاقل من يملأ قلبه بأحق الحق، حتى لا يبدي إلا مثله، ففيض عقله يجريه لسانه.

- أكثر ما يدخل الإنسان الجنة والنار لسانه، لسهولة إطلاقه وعظيم آثاره، ففي الحديث قال ﷺ: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟).

- تهوين الأقوال والأفعال وتبسيطها وهي عظيمة عند الله قد يقع في أزمنة فاضله، ولكن الميزان لله لا لخلقه ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النُّور: ١٥).

- في حادثة الإفك أطلقوا عبارات يحسبونها هيّنة ولكن الميزان ميزان الله ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النُّور: ١٥).

- الكلمة العظيمة عند الله لا يلزم أن تكون عظيمة عند صاحبها (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً تَهْوِي بِهِ فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا).

- يُسلب الإنسان من إيمانه بمقدار بذاءة لسانه، ففي الحديث: (لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ).

- من اعتاد لسانُه السوءَ في السرّ لم يستطع الاحتراز منه في العلن .

- ما لا تودُّ التحدث به فلا تملأ قلبك تفكيرًا به وإلا سيغلبك ويخرج ولو كنت كارها ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ (القَصَص: ١٠) فارغًا من كل شيء إلا موسى.

- أسوأ الناس من يبحث عما يرفعه، فإذا عجز عن الحق ركب الباطل.

# # #